محمد علي الزركان *

الشاعر محمد الفراتي

وترجماته عن الأدب الفارسي

(الصفحات ١٦١- ١٧٤)

ملخّص

لم يكتف الفراتي بالمطالعة الطارئة العابرة للأدب الفارسي، بل صار يترجم عنه أمهات الدواوين الشعرية لفحول الشعراء مثل الشيرازي والفردوسي والرومي والجامي وغيرهم.

وصارت مترجمات الفراتي مثار إعجاب وتقدير واعتزاز من قبل العارفين بأسرار هذه اللغة، فقد أثنوا عليه الثناء الكبير بعد أن اطلعوا على أعماله التي تولت طباعتها ونشرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق.

قد يستغرب الإنسان أن الفراتي تعلم الفارسية وحده دون معلم، فقد حدثني أنه كان يقرأمبادئ الفارسية عندما كان طالبًا في المدرسة الرشدية إلى جانب اللغة التركية، فأحب هذه اللغة وتعلق بها، فصار يتابع ما كتب بها بصورة بسيطة تعتمد على كتاب ترجمان صغير يجمع بين اللغة العربية والتركية والفارسية الذي كان يدرسه في المدرسة الرشدية. وتشاء الظروف أن ينتقل الفراتي إلى العراق ثم إلى البحرين،فاستطاع أن يتصل بمن يجيدون الفارسية قراءة وكتابة وحديثًا، إلى

* - كلية الآداب ـ جامعة حلب.

أن صار يقرأ بها الكتب المختلفة وخاصة دواوين الشعراء ومصنفات الكتاب،فزاد تعلقه بهذه اللغة.

كيف يترجم الشعر؟

إن عددًا كبيرًا من المترجمين يرى أن الشعر ينبغي أن يترجم شعراً لأن الخصائص التي يتميز بها الشعر من النثر هي مكونات أساسية في طبيعة النص الشعري، وليست مجرد إضافات للتحسين يمكن أن يُستغنى عنها، ومعنى ذلك أن إهمال هذه الخصائص الجوهرية من قبل المترجم يعد إهمالًا لجزء جوهري من العمل الذي يترجمه.بل إن بعض هؤلاء الذين يصرون على ترجمة الشعر إلى شعر ليذهب إلى مدى أبعد من هذا باشتراط أن يُبقي المترجم على الوزن ونظام التقفية اللذين استخدمهما الشاعر. ومن الواضح أن هذا الشرط ربما يمكن الوفاء به إذا تمت الترجمة بين لغتين تنتميان إلى تراث واحد، ومن ثم تشتركان في نظام عروضي واحد كاللغات الأوربية وكثير من اللغات الإسلامية كالعربية والفارسية،وهذا ما فعله الفراتي في ترجماته من الفارسية إلى العربية، فقد ترجم الشعر شعرًا، واستطاع بفضل اشتراك العربية والفارسية بنظام عروضي واحد تقريبًا أن يحتفظ بالنظام الشعري في ترجمته العربية مبقيًا على الجانب الشكلي للأصل الفارسي .وقد بلغت ترجماته من الجودة والدقة والإتقان ما جعل العارفين باللغة الفارسية والعربية يقرون بإجادته اللغوية، وذائقته الشعرية، الأمر الذي جعله يمتاز عن غيره في ترجماته هذه، وذلك لأنه شاعر يحس بإحساس شاعر.

مترجمات الفراتي:

لقد ترجم الفراتي ديوان *كلستان* روضة الورد للشاعر سعدي الشيرازي وقد طبعته وزارة الثقافة طبعة جيدة بلغت ٣١٠ صفحات من الورق المزين ١٣٨١هـ/

١٩٦١م تحت عنوان (سلسلة روائع الأدب الشرقي) وهو أول ديوان قام الفراتي بترجمته عن الفارسية، وتبين لي أن الفراتي لم يكن أول من ترجمه شعرًا، فقد سبقه إلى ذلك جبرائيل بن يوسف المخلع السوري الأصل والذي كان كاتبًا بالديوان الخديوي بثغر الاسكندرية بمصر، وقد طبعت هذه الترجمة في مطبعة بولاق في شهر صفر ١٢٩٣ هـ١٨٤٦م.

كما ترجم مختارات من شعر ثلاثة شعراء هم: جلال الدين الرومي، وسعدي الشيرازي، وحافظ الشيرازي، وجمعها تحت عنوان (روائع من الشعر الفارسي) طبعته وزارة الثقافة في ٣٢٢ صفحة على ورق مزين جميل ١٣٨٣ هـ١٩٦٣م من سلسلة روائع الأدب الشرقي.

أما الحلقة الثالثة من سلسلة روائع الأدب الشرقي) فقد كان كتاب *البوستان* لسعدي الشيرازي، فقد طبع في جزأين من قبل وزارة الثقافة، طبع الجزء الأول ١٩٨٦ في ٣٠٠ صفحة وطبع الجزء الثاني ١٩٦٩ في ٣٠٠ صفحة كذلك، لكن هذه الطبعة لم تكن كسابقاتها من حيث الجودة والإخراج!!

وله مترجمات أخرى عن اللغة الفارسية ما زالت مخطوطة وهي:قواعد اللغة الفارسية ـ قاموس الكنايات الفارسية ـ قاموس فارسي / عربي كما ترجم رباعيات الخيام فكانت ترجمة دقيقة، علمًا أن الفراتي كان يقول إن هذه الرباعيات ليست للخيام، وإنها نسبت إليه خطأ أو زورًا، وإن الخيام بريء من هذه الرباعيات التي ترجمها عدد من المترجمين كل بأسلوبه وعلى طريقته مثل احمد رامي ومحمد السباعي، لكنهم وقعوا في أخطاء كبيرة بسبب ترجمتهم عن لغات غير الفارسية كالانكليزية والفرنسية هذا فضلًا عن التصرف الذي كانوا يعاملون به النص المترجم. وكان أحمد رامي أكثر هؤلاء تصرفًا..!

وسنحاول فيما يلي إلقاء نظرة سريعة على بعض هذه المترجمات التي طبعتها وزارة الثقافة، وإيراد بعض النماذج الشعرية والنثرية المترجمة،لنعطي بذلك صورة صحيحة صادقة عما قام به الفراتي من جهد كبير.

١ – كلستان (روضة الورد) :

افتتحه الفراتي بهذين البيتين المترجمين:

روضة الورد كلستان وما كلستان كتاب في العظات
فيه عن شيراز نفحٌ عَطِرٌ وشذى من كل أزهار الحياة

وورد في المقدمة الموجزة:

«المنة لله عز وجل الذي طاعته توجب التقرب منه، وبشكره تزداد النعم، كل نَفَس وارد مدد للحياة، وكل نَفَس صادر راحة للذات، إذن في كل نَفَس له عليك نعمتان،على كل نعمة منهما شكر واجب.

بيت

باي لسانٍ أو يدٍ أنت عاملٌ لتخرج في مرماك عن عهدة الشكر

قطعة:

الخير للعبد أن ينقاد معتذرًا عن القصور إلى أعتاب سيده
لِمْ لا وكل امرئ عما يليق به أقرّ بالعجز في منحى تعبّده

غيوث رحمته التي لا تحصى تعم سائر الأكوان، وموائد نعمته بدون حرمان، مبسوطة بكل مكان، لا يهتك ستر عباده بأفحش الذنوب، ولا يقطع رزقهم بما اقترفوه من منكر الخطايا والعيوب..

بيت

شفيع مطاع نبي كريم قسيم جسيم بسيم وسيم

قطعة

ترى أي غم قد يحيق بأمة لها أنت في الدنيا ظهير ومعوان
وما الخوف من موج البحار إذا طغى ونوح على ظهر السفينة ربّان

وهكذا يسير الشاعر على هذا المنوال الذي قدمناه: قطعة.. بيت إلى آخر الكتاب الذي قسمه إلى ثمانية أبواب: الأول في سيرة الملوك ـ والثاني: في أخلاق

الفقراء والثالث: في فضل القناعة ـ والرابع: في فوائد السكوت . والخامس: في العشق والشباب والسادس: في الضعف والشيخوخة ـ والسابع: في تأثير التربية ـ والثامن: في آداب الصحبة واختتم مقدمته بهذا الرجز:

بروضـــتي ورد نـــدي بـــالورق قلـم مـن البسـتان عبـاب الطبـق
فـــالورد عمـــره قصـــير الأمـــد وروضـــتي تزهـــو لأخـــرى الأبـــد

إلى أن يقول:

وكـل مـا أبتغـي أن لا يمـل فمـا في (روضة الورد) ما يضني فتلحوني
وكيف لا واسم (سعد) فوق طرتـه مطرز بأبي بكر فتـــى الـــدين

واختتم المترجم (الفراتي) الكتاب بنبذة يسيرة من تاريخ حياة سعيد الشيرازي استغرقت ثلاث صفحات، ومما جاء فيها قوله:

«إن الذين أرخوه وعنوا بآثاره استخلصوا تاريخ حياته من دواوينه الشعرية ومن نثره الساحر، خصوصًا في كتابه الخالد *كلستان* وفي ديوانه العظيم *بوستان* أما اسمه الكامل فهو الشيخ شرف الدين بن مصلح الدين السعدي أحد النجوم اللامعة في سماء الأدب الفارسي، فقد بلغ أعلى درجات الفصاحة في اللغة الفارسية، كما أن نظمة ونثره يعدّان أحسن مثال في السلاسة والبلاغة أما ولادته فكانت سنة ٦٠٦ هـ على الأغلب، ووفاته سنة ٦٩٠ هـ أو ٦٩٤ هـ.

ولقد قام برحلات طويلة، فزار مكة ودمشق وبلغ شمالي إفريقية، وأقام مدة في الشام وعاشر أهل هذه البلاد فاختلط بالعلماء والعوام والصوفية والملاحدة ولم يفارق دمشق العزيزة عليه إلا في سنة ٦٤٣ هـ حين ابتليت بالقحط والغلاء والجراد وجفاف مياه العيون والأنهار فرثاها أبلغ رثاء وبكاها أحر بكاء، وخرج منها هائمًا على وجهه في بادية القدس، فأوقعه سوء حظه أسيرًا بيد الفرنجة.. وكان تأثير السعدي في الناحيتين الأدبية والأخلاقية كبيرًا، فإن بعض الشعراء المشهورين الذين جاؤوا بعده كحافظ الشيرازي وعبد الرحمن الجامي قد وضعوه موضع

التقدير والإعجاب، وقد بلغت شهرة السعدي أطراف العالم، ونقلت آثاره في النثر والنظم إلى جميع اللغات الحية، وكانت محل إعجاب الأمم وتقديرها.

نماذج من كتاب (كلستان) :

يقول سعدي: كنت مترددًا عند شراء دار معدة للبيع، فقال لي يهودي: أنا من سكان هذه المحلة القدماء، فاسألني عن الدار، فإن لي معرفة بصفتها، اشترها فليس بها عيب أصلًا فقلت له: أجل لا عيب بها إلا مجاورتك إياها.

قطعة:

إن دارًا لهـــا كمثلـــك جـــارٌ لا تســـاوي إلا دارهـــم عشـــرا
غيـر أنـي من بعد موتك أرجـــــو أن تســـاوي ألفـًا دنانيـــر صفـــرا

حكاية: دخل جامع دمشق رجل من صلحاء جبل لبنان، وكانت له في بلاد العرب مقامات مذكورة وكرامات مشهورة، ولما جلس على طرف بركة (الكلاسة) ليتوضأ زلت قدمه فوقع فيها، ولو لم تتداركه العناية لغرق. وبعد أن أدى المصلون الصلاة المكتوبة قال له أحد الأصحاب:

أيها الشيخ عندي مشكل، فقال الشيخ وما ذاك؟ فقال: أذكر أنني كنت رأيتك تمشي على وجه بحر المغرب ولم تبتل لك قدم، واليوم كدت تغرق بما لا يزيد عن عمق قامة من الماء، فما السر في هذا يا ترى؟ فأدخل الشيخ رأسه في جيبه وبعد تأمل طويل رفع إليه رأسه وقال: ألم تسمع ما قاله سيد الناس محمد المصطفى: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» ولم يقل كل وقتي كان هكذا، وإلا لما تفرغ لجبريل وميكال، ولما بنى بحفصة وزينب وغيرهما بأوقات أخرى، لأن مشاهدة الأبرار بين التجلي والاستتار تلوح فتختطف.

بيت:

بحسنك تغريني وتطلب عصمتي ونار الهوى تذكي وتأمر بالتقوى

شعر عربي الأصل:

أشـاهد مـن أهـوى بغيـر وسـيلة ... فيلحقنـي شـأن أضـل طريقـا
يـؤجج نـارًا ثـم يطفـي بريشـة ... لـذاك ترانـي محرقًـا وغريقـا

حكاية منظومة:

ظريـف مسـن كـانَ أنكـحَ بنتـه ... ببغـداد إسـكافًا لينسـلها الولـدا
فصادف أن قد كان فظًا فعضّها ... دعابًـا فـأدمى مرشـفًا يشـبه الـوردا
فهـال أباهـا حـين أصـبح مـا رأى ... فـراح مغيظًـا محنقًـا يسـأل الوغـدا
أيـا فسـل مـا ذلـك السـن واعتـرف ... بـأن الـذي لكتـه لـم يكـن جلـدا
وما قلت هذا القول مزحًا كما ترى ... فدع عنك فرحًا لم يفد وخذ الجدا
لـئن كـان قبح الطبع فيك سجية ... فلـيس ليمحـى أو يوسـدك اللحـدا

٢ - ديوان (بوستان) لسعدي الشيرازي:

إنه أول منظوماته الهامة والمشهورة، ويشتمل هذا الديوان على قصص شعري غاية في الإبداع، وعلى غزل غاية في الرقة والإحساس. وهو في هذا الديوان شاعر إنساني، ومعلم أخلاقي، وبعد سنة من إتمامه ألف مصنفه السابق (كلستان) وكانت مقدمة الديوان شعرًا تبدأ بالثناء على الخالق جل جلاله فقال:

باسـمك يـا بـارئ روح فـي البـدن ... بـردًا وفـي اللسـان مبـدع اللسـن
يـا راحـم العفـاة يـاذا المقـدره ... يـا قـابلًا مـن الجنـاة المعـذره
ذو عـزة فكـل مِـنْ عَـنْ عزتـه ... أدار وجهـه قضـى بذلّتـه
رؤوس أربـاب العـروش السـامية ... علـى ثـرى العجـز لديـه حانيـه

إلى أن يقول:

ومـن يكـن بشـرح طـه ملحـدا ... فـإن يـرى بعينـه نـور الهـدى

لا تـرج يـــا سعد الوصول للصفـا إن رمـــت نهجًا غير نهج المصطفى

هذا وقد بلغت هذه المقدمة ثلاثًا وستين بيتًا، ضمنها كثيرًا من أفكاره وآرائه وإليك بيانًا في سبب نظمه هذا الديوان:

طوّفـت فـي أقطـار هـذا العـالم وحـزت أقصـى خبـرة بالعـالم
ولـم تفتنـي متعـة فـي مسـتقر كمـا قطفـت كـل أنـواع الثمـر
كظـاهري شـيراز مـا كنـت أرى فرحمـة الله علـى ذاك الثـرى
وإن حـب مـوطني قـد صـدّني عـن حـب سـوريا وكـل المـدن
كم قلت من حل بمصر واغتراب يجلـب قنـدًا طرفـة لمـن أحـب
واحسـرتا قـد عـدت فـارغ اليـد مـن تحـف الـدنيا لهـذا البلـد
لكنني عُوضت عن قند القصب عـذب البيـان سـائغًا ولا عجـب
ولـم يكـن لـدى الأنـام يشـرب لكـن لأربـاب المعـالي يكتـب
وحيث فـي قصـر المليك قـد جمع للنفـع فـي عشـرة أبـواب وضـع
للعـدل والتـدبير جـاء الأول لمـن عَـن الخلـق غـدًا سيسـأل
شكرًا على النعمـة جـاء الثاني لـمـن هـداه الله لـلإحسـان

وقال في قصيدة حكاية قحط في دمشق:

علـى دمشـق أتـى قحـط لشـدته قد إذهل الصب عن ذكر الأحباء
فضنّت على الأرض بالغيث السماء فما بلت صدا كرمه، أو حلق عجفاء
وما جرى فيض عين بالسفوح وقد جـادت عيـون اليتـامى عنـه بالمـاء
فكـم تثيـر الشـجى آهـات أرملـة إذا يثـور دخـان عنـد رعنـاء
وقـد تعـرت مـن الأوراق زاهيـة أغصـانها، كسـليب وسـط بيـداء
أمـا الجـراد فلـم يتـرك بربوبتهـا ولا بغوطتهـا آثـار خضـراء!
وجاء عندي صديق كدت أنكره جلـد علـى العظـم مـن بـرح ولأواء

وقد عجبت له إذ كنت أعهده ... ذا قوة وأخا جاه، ونعماء
سألت ذاك الكريم العرق في لهف ... ماذا دهاك؟أجب تفديك حوبائي
فصاح بي: يا عديم الرأي تسألني ... وأنت مني ـأجل ـأدرى بذا الداء
ألا ترى كيف جاز القحط غايته؟ ... فلم يدَع قَطرَتَي دَرٍّ بغرثاء
ولم تجب دعوة لله صاعدة ... ولا تنزل غيث غبّ شكواء
أجبته: ما الذي تخشى وفي يدك ... الترياق إن كشرت أنياب رقطاء
وهل على البط في الطوفان من ضرر؟ ... والبط مذكان ـعوام على الماء
أجابني: لا تكن مثل الفقيه لدى ... ردع السفيه، فلم تأخذ بآرائي
ما راحتي ان أكن بالسيف محتجزًا ... والموج ألقى بخلّي وسط دأماء؟
أو كان وجهي لم يصفر من عوز ... فَغَمّ مَنْ أعوزوا قد حزّ أحشائي

وقال أبياتًا في الحكمة:

سمعت أن طامعًا ذا عدم ... مضى إلى ملك خوارزم
وإذ رأى المليك خر ساجدًا ... وعفر الوجه، وقام حامدا
قال له الغلام،عندي مشكل ... إذا يا أبي لابد عنه أسأل
ألم تقل:للقبلة التعبدُ؟ ... فَلِمْ لغيرها الغداة تسجدُ؟
فلا تطع نفسك فيما ترغب ... حيث لها في كل حين مطلب
لا تولها الأمر بما لا يُرضي ... تنج من العذاب يوم العرض
قناعة العاقل تُعلي ذكره ... وتخفض الأطماع منه قدره
فلا ترق ماء المحيا الغالي ... فالعز لا يباع باللآلي
إن تمس في الشدة غير صابر ... تضطر للكدية كالأصاغر
اقصر عن الحرص، ولا تَمدُد يدا ... ان رمت أن تحيا شريفًا سيدا
فكل من يطوي سجل الطمع ... لم يمس عبدًا لامرئ فاستمع!

أما غزليات السعدي فيمكن أن نقول إنه مبتكر فيها، فقد تضمنت أبدع الإحساسات، في روح صوفية، فلم يبلغ شاعر آخر ما بلغه فيها، وها هي بعض غزلياته:

وردية هاتها يا ساقي الراح ... وافرح ولا تلتفت يوما إلى اللاحي
واعزف على العود من لحن النوى قطعًا ... يا منيتي فالنوى قد زاد أتراحي
ما دامت بالزهد لم ألق الفتوح، فما ... بالي أحطم كالمجنون أقداحي
أدمى فؤادي وما نلت المراد هوى ... قد ألصق العار باسمي بعد إصلاحي
والعشق ألوى بعقلي،فاستقل به ... وأطفا البين مني نور مصباحي
حتّام تعلن يا ذا الزهد مفتخرًا ... حربًا على مدنف بالعشق ملتاح
إن كان طرفك طماحًا لنيل جنى ... جنات عدن،فطرفي غير طماح
قد عفت خرقة زهدي في هواه كما ... أعلنت للوصل بين الناس أفراحي
دق البشائر يا سعدي لما نظرت ... عيناك من بهجة في كل إصباح
وللحياتين لونا واحدًا أبدًا ... فالبس، وبع بزة الحرباء بالراح

وقال في غزلية أخرى:

عجيب إذا أبقى ولو بعض ساعة ... بدونك في الدنيا فأحيا بها وحدي
ومالي إلا نور وجهك مرشد ... به في ظلام اليأس إن حرت استهدي
فمنذ تلاقينا تيقنت أنني ... رماني الهوى في فخ (شيرين) عن قصد
وأني كفرهاد سأغسل يائسًا ... يدي من حياة دون وصلك لا تجدي
تحدثك من دنياي للنفس بهجة ... ولولاك ما الدنيا؟ وما حسنها عندي؟
أراك لطيشي قد ضحكت تدللًا ... فهل رحمة تبكين إن مت من بعدي؟
فلا تشهري سيفًا لإتلاف مهجتي ... فلم أك أخشى في هواك سوى بُعدي
وإني لمقتول، وفي القتل راحة ... بساعدك الخطّي، لا الصارم الهندي!

فيا صبح أهل الشوق لح لي إذا بدا ... نهاري بلألاء يلوح به سعدي
فليلة (يلدا) قد مللت لطولها ... سراي مع الشعرى، كما ملني سهدي
فقلبي مثل الشمع، فارثي لحاله ... متى جن ليلي ضاء من شدة الوجد
يذوب من البلوى عليك صبابة ... وليس من الشكوى، يعيد ولا يبدي
وأنت كمثل الورد يبدي تبسمًا ... لمبكى الندى، والغيم، والبرق، والرعد
هبيني إذن يا غاية السؤل بلبلًا ... يغني على البلوى، ويحيا على الوعد
لقد نام جنان الحديقة آمنًا ... كما ذاد سرح النوم عن جفنه سعدي
فلا تخش ياجنان، فالورد متعة ... لعيني، وأمّن من بناني على الورد

٣ – روائع من الشعر الفارسي:

عرفنا قبل قليل أن الفراتي ترجم مختارات شعرية لثلاثة من شعراء الفرس المشهورين وهم: جلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي. وقدم موجزًا عن حياة كل واحد منهم. وقد سبق الكلام عن الشاعر الكبير سعدي الشيرازي وعن مختارات مترجمة من شعره. وسنحاول الآن عرض نماذج مختارة مما ترجمه الفراتي من شعر هذين الشاعرين:

جلال الدين الرومي: ٦٠٤ – ٦٧٢هـ

ولد في بلخ، ثم رحل مع والده إلى دمشق، وأقاما بها مدة.ثم رحلا عنها إلى بلاد الروم واستقرا في (قونيه) بناء على دعوة السلطان علاء الدين السلجوقي واشتغل الوالد بالتدريس، وبعد وفاته خلفه ولده جلال الدين، فاشتهر وأقبل عليه الطلاب، ولكنه مال إلى التصوف ونظم ديوانه *المثنوي* الذي بلغ ٢٦ ألف بيت... ثم التقى بشمس الدين التبريزي، فترك التدريس وهام معه في البادية متصوفًا على الطريقة (المولوية)،ثم عاد إلى قونية وتوفي بها. وهذا نموذج من شعره:

«الناي»

اسمع الناي معربًا عن شكاته ... بعد أن كان نائبًا عن لداته
مائلًا في شكاته للعباد ... بعد صحبي ما ذقت طعم الرقاد
من جروح ترى بصدري الحزين ... أبعث الصوت مشبعًا بالأنين
كل من فارق الديار اقتسارًا ... يطلب الوصل ليله والنهارا
فتراني بكل ناد أنوحُ ... وفؤادي من الغرام جريح
كل شخص يظنني من صحابه ... وهو عن سر نوحتي في حجابه
وقريب من نوحتي سر نفسي ... لو يسمع الأنام قوة حسي
نوحة الناي لفحة من سعير ... لا هواء فلا تكن بالغرير
تلك نار بقلبه وهيام ... حين جاشت من الغرام المدام
كم روى قصة لِصَبٍ صريع ... بطريق ملطخ بالنجيع
أفأهل الإحساس من لا يحس ... ونتاج العقول في السمع رس
أفقد الفم حسنًا بالزمان ... وتداعى لمحونا النيران

«في بيان قلب العاشق لا أبالي»

قال اقصر ناصحي، لا أسمع ... لم يصخ للنصح قلبي الموجع
ذلك العشق الذي زاد الضنى ... ما حكا عنه فقيه في الدنا
لا تهددني بقتل مؤلم ... عطش جدًا لإهراق دمي
اقتلوني! اقتلوني! يا ثقات ... إن في قتلي حياة في حياة
يا منير الخد يا روح البقا ... اجتذب روحي وجدلي باللقا
«لي حبيب، حبه يشوي الحشا ... لو يشا يمشي على عيني مشى

حافظ الشيرازي

هو شمس الدين محمد الحافظ، ويلقب بـ(لسان الغيب) ولد في أوائل القرن الثامن الهجري بشيراز، واتصل بحلقات الدروس التي كان يعقدها علماء عصره وقد جمع بذوقه الصوفي بين تعاليم الفلسفة وآيات القرآن، وأما ديوانه ففيه قصائد وغزليات وقطع ومثنويات ورباعيات، ولكنه اشتهر بالغزل.. وكان بعيدًا عن الزينة الزائفة التي كان يتظاهر بها أهل الطرق، فقد وبخ في أشعاره المرائين والمشايخ والزهاد والمتصوفة. وتوفي في بلدته شيراز، وهذا نموذج من شعره:

«غزلية»

لم يبق لي مذ تورات شمس وجنتها ... نور ومن ليل عمري غير ديجور
ومنذ ودعتها ودعت من حزني ... روحي ولم يبق لي في العين من نور
وقال للطرق طيف غاب عن نظري ... لله ركن سيمسي جد مهجور
هَجَرتني فدنا حتفي،وكنت متى ... وصلت لي جنة، من كل محذور
فعن قريب يقول العاذلون: قضى ... فارتحت من مدنف في اللحد مقبور
جفت لبيتك آماقي، إذن فمري ... كيدي، فليس على حال بمعذور
أيشهد العرس مَنْ في مأتم أبدًا؟ ... أم كيف يفرح قلب غير مسرور

وقال في «غزلية» أخرى:

أريد عقارًا تصدع الرأس مرة ... متى ذقت منها جرعة، غبت عن نفسي
لعلي بها أنسى، ولو بعض ساعة ... مصائب ذي الدنيا، ومن لي بما ينسي؟
فما أنا من مكر السماء بآمن ... فسيان فيها طالع السعد والنحسِ!
فيا قلب، لا تطلب بدنياك راحة ... ودع عنك هذا الحرص إن كنت ذا حس
فليس يربي الدهر فوق سماطه ... سوى كل نذل في الحقيقة أو جبس

نفضت فجاج البيد، شرقًا ومغربًا فلم أر(بهرامًا) ولا دارس الرمس
فألق إذن أشراك بهرام جانبًا وخذ جام جمشيد تنل رتبة القدس
تعال، فسرّ الدهر مثلي يريكة بصافية كالشمس تسطع في الكأس
على شرط أن لا تكشف السر لا مرئ عمى القلب قد أرداه في هوة النحس

هذا وقد ترجم الفراتي لحافظ الشيرازي ما يقرب من خمسين «غزلية» في كتابه *روائع الشعر الفارسي* الآنف الذكر.